

تحليل صنع القرار من منظور العقائد السياسية

الاستاذة: زائدة منك

أستاذة مساعدة " أ " - كلية الحقوق و العلوم السياسية
جامعة محمد خيضر - بسكرة

الملخص:

تحتل الأنساق العقيدية للقادة السياسيين موقعا مهما ضمن العوامل المؤثرة في عملية صنع القرارات السياسية في الدولة، الأمر الذي أدى إلى الاهتمام بهذا المجال من البحث من خلال العديد من الدراسات في ميدان علم النفس السياسي، الذي يهتم بدراسة و تحليل البيئة النفسية لصانع القرار كأحد أهم أبعاد العملية القرارية - إلى جانب البيئتين الداخلية و الدولية-، و يساعد النسق العقيدي في هذا الإطار القائد السياسي على تبسيط الواقع انطلاقا من خارطته المعرفية حول العالم السياسي حيث و في إطار موقف قراري معين يميل صانع القرار إلى اختيار البديل الذي يتوافق و عقائده السياسية و بذلك يمكن اعتبار النسق العقيدي للفرد المصفاة التي عن طريقها يتقبل أو يلغي صانع القرار المدخلات (معلومات، مواقف...) التي تأتيه من البيئة الموضوعية. و قد حاول العديد من الباحثين في هذا المجال إلى تطوير العديد من الأدوات المنهجية و التي سننتظر إليها في هذه الدراسة.

Abstract :

The political belief system of the leaders has an important role among the different factors which affect decision-making process in the state, the interest in this area of research has emerged through a variety of studies in the field of political psychology which are interested in studying and analyzing psychological aspect for the decision-maker as one of the most important dimensions of the decision-making process - as well as internal and international environments - . The belief system helps in this context the political leader in the simplification of reality according to his cognitive map about the world and choosing the alternative that is compatible with his political beliefs. Accordingly many researchers have tried to develop a methodological tools in order to help shed light on this important dimension, which we will address in this study

إن دراسة عملية صنع القرار في الدولة لا تقتصر فقط على البعد المؤسساتي للتحليل من خلال التطرق لمختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية لصنع القرار وصلاحياتها في هذا الإطار بين الثنايا المؤسساتية والقانونية للنظام السياسي، هذا إضافة إلى البعد القانوني والدستوري المنظم لهذه العملية في الدولة، وإنما يمكن أن تتعمق أكثر نحو تحليل نفسي لعملية صنع القرار من خلال دراسة مختلف الأبعاد النفسية لصانع القرار وتأثيرها على سلوكه وأدائه أثناء العملية القرارية. و تتعدد الأبعاد النفسية لصنع القرار بين تصورات صانع القرار حول الموقف القراري، شخصيته، إدراكه للواقع والمشكلة القرارية وأخيرا عقائده التي تحدد وجهة نظره حول العالم المحيط به. ولطالما احتلت العوامل النفسية لصانع القرار - التي من أهمها العقائد السياسية - حيزا كبيرا من الاهتمام بين دارسي عملية صنع القرار في الدولة، فيرى هولستي Holsty أن " الصورة التي يشكلها صانعو القرار حول الحقيقة (الواقع) تحتل أهمية أكبر من الحقيقة أو الواقع الموضوعي"¹ وأكثر من ذلك يذهب سنايدر (Snyder) إلى اختبار أن الواقع الذي يجب أن يعنى بالدراسة هو الواقع كما يراه صانعو القرار "WORLD OF THE DICISION MAKER AS THEY VIEW IT"². و عليه ستمتحمور دراستنا على إشكالية اساسية نتساءل من خلالها حول أهمية النسق العقيدي كأحد الأبعاد النفسية لصانع القرار، كيف يؤثر على سلوكه السياسي والأهم من ذلك كيف يؤثر على قراراته في هذا الإطار؟ وبالنسبة لنا كباحثين كيف يمكن تحليل الأنساق العقيدية لصانع القرار في إطار تحليل عملية صنع القرار في الأنظمة السياسية؟

و انطلاقا من هذه الإشكالية سنحاول من خلال هذه الدراسة التطرق إلى النقاط التالية:

أولاً: العقائد السياسية، صنع القرار: الأبعاد المفاهيمية.

ثانياً: أهمية عقائد صانع القرار في إطار عملية الاختيار.

ثالثاً: تطور منهجية دراسة وتحليل الأنساق العقيدية.

رابعاً: المنهج الإجرائي لتحليل عقائد صانع القرار.

أولاً: العقائد السياسية، صنع القرار: الأبعاد المفاهيمية.

أ- مفهوم العقائد السياسية:

يستقبل الفرد منذ ولادته و تطوره في إطار البيئة الاجتماعية المحيطة به مجموعة من المعلومات والمعارف التي تتراكم مع الوقت في ذهنه وترسخ لتشكل في النهاية ما يسمى ببيئته النفسية والتي تحدد وجهة نظره حول العالم المحيط به وكيفية فهمه له، فتتشكل البيئة النفسية للفرد من مجموعة من العمليات المعرفية cognitive process و التي يقصد بها "العمليات الذهنية

المتعلقة بالتفكير والتسبب وحل المشكلات وتطوير المفاهيم كالصورة والادراكات والعقائد³ هذه الأخيرة أي العقائد التي أكد علماء النفس الاجتماعيين على كونها أهم عناصر العملية المعرفية. والعقيدة من الناحية اللغوية تعني: "الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. والعقيدة في الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل : كعقيدة وجود الله وبعث الرسل ، وجمع العقيدة هي عقائد"⁴ . أما من الناحية النفسية فتعرف العقائد على أنها مجموعة من الأحكام الاحتمالية الذاتية والتي تمكن الفرد من وصف ظاهرة أو أسلوبا ما بصفة محددة مثل الاعتقاد بكون الطبيعة البشرية خيرة⁵ ، وهي بذلك تختلف عن العقائد الدينية في كونها تتشكل من مجموعة من التصورات والأحكام التي يطورها الفرد من خلال تعامله وخبرته مع العالم الخارجي المحيط به والتي تصف له مكونات هذا العالم.

و على اختلاف مكونات و أطراف العالم الخارجي المحيط بالفرد تختلف وتتعدد عقائده تجاهها، لتشكل بذلك ما يسمى بالنظام أو النسق العقيدي ويعرف "هولستي" النسق العقيدي بأنه "يتشكل من عدد من الصور حول الماضي،الحاضر، والمستقبل، حيث تحوي هذه الصور كل المعارف المتراكمة التي تحدد رؤية الفرد لنفسه ورؤيته للعالم الخارجي"⁶ ، كما يعرفه كونفرس converse بأنه: "تركيبية من الأفكار والمواقف المترابطة مع بعض بشكل توافقي واعتماد متبادل وظيفي"⁷. و انطلاقا من هذين التعريفين يمكن تحديد خاصيتين أساسيتين للنسق العقيدي: الأولى أنه يتشكل مجموعة من العقائد التي تختلف باختلاف موضوعها سواء كان سياسيا، دينيا، ثقافيا... و الثانية هذه العقائد هي مترابطة مع بعضها البعض لتشكل في النهاية كلا موحد.

يقول الدكتور محمد السيد سليم في هذا الإطار: "يقوم الفرد من خلال العملية العقيدية بتطوير مجموعة من العقائد عن طبيعة البيئة و أساليب التعامل مع تناقضاتها. تتميز هذه العقائد بأنها ترتبط ببعضها بروابط أفقية و رأسية متعددة ذلك أن الفرد لا يطور لنفسه مجموعة عشوائية من العقائد ولكنه ينشئ كلا متكامل يتسم بالترابط أي انه يشكل نسقا عقيديا"⁸ و في ذات السياق يشير الكسندر جورج أن العقائد المركزية هي العقائد الأكثر تأثيرا على سلوك الفرد - و بالتالي قراراته- من باقي العقائد وهي تشكل النسق الإجرائي من النسق العقيدي operational code لهذا الفرد⁹ .

ب- مفهوم القرار وصنع القرار:

كلمة "قرار" في اللغة العربية مشتقة من كلمة "قر" بمعنى سكن واطمأن و"قرر" الأمر بمعنى رضا عنه و اعترف به و تقرر الأمر بمعنى ثبت واستقر¹⁰ .

أما عن أهم الاستخدامات الاصطلاحية للفظ القرار فيعرف اتخاذ القرار بعملية القيام بالمفاضلة بين مجموعة من البدائل المطروحة لحل مشكلة معينة التي يتم الاختيار والمفاضلة فيما

بينها (البدائل) على ضوء معايير محددة لاختيار البديل الأكثر تناسبا للتعامل مع المشكل المطروح ، بذلك يكون القرار في النهاية هو الاختيار الأمثل بين البدائل المتعددة. و في هذا الإطار يمكن الإشارة لمجموعة من المفاهيم المتداخلة في إطار تحديد المفهوم الشامل لصنع القرار، حيث تعرف عملية صنع القرار بالعملية التي بمقتضاها يتم المفاضلة بين مجموعة من البدائل المطروحة من أجل تحقيق أهداف محددة و تجاوز المشكلات، و عملية صنع القرار عبارة عن سلسلة من المراحل المعقدة و المتداخلة و التي تبدأ:

أولاً: بمرحلة تحديد المشكلة (التي قد تكون مشكلة اقتصادية، اجتماعية، سياسية، و من جهة أخرى قد تكون داخلية أو خارجية).

ثانياً: مرحلة جمع المعلومات و البيانات المتعلقة بالمشكلة و تحليلها.

ثالثاً: مرحلة تحديد البدائل المتاحة لحل المشكلة.

و أخيراً مرحلة المفاضلة بين البدائل و اختيار البديل الأمثل و الأنسب لحل هذه المشكلة و هي ما تسمى بمرحلة اتخاذ القرار . بذلك يكون اتخاذ القرار هو " الاختيار المدرك الواعي بين البدائل المتاحة في موقف معين بعد دراسة النتائج المترتبة على كل بديل و أثرها على الأهداف المطلوب تحقيقها". و يكون القرار هو البديل المختار للتعامل مع المشكلة و تحقيق الأهداف المرجوة.

ثانياً: أهمية عقائد صانعي القرار في إطار عملية الاختيار:

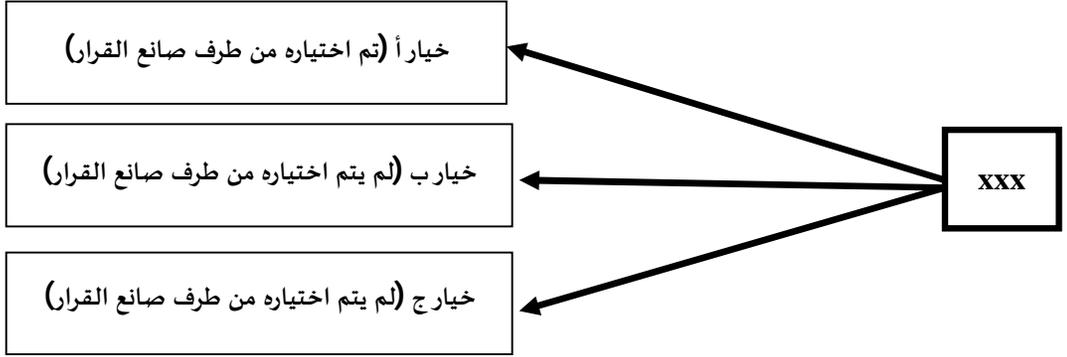
تلعب البيئة النفسية للقائد السياسي دور الوسيط بين البيئة الداخلية و البيئة الخارجية من جهة و بين القرار المتخذ من جهة أخرى، حيث يرى لويد جنسن أنه " طالما أن القائد السياسي لم يدرك أو يستوعب متغيراً موضوعياً معيناً، فإن ذلك المتغير لن ينتج آثاراً في السياسة الخارجية"¹¹ و بالنسبة للعقائد السياسية فتمثل أحد أهم أبعاد البيئة النفسية و المؤثرة في سلوك صانعي القرار، فمن جانب عملي يلعب النسق العقيدي دوراً هاماً خلال عملية صنع القرارات السياسية حيث يذهب " روبرت جرفيس " (Jervis) إلى أنه " قد يكون من المستحيل تفسير قرارات و سياسات أساسية دون الرجوع إلى عقائد صانعي القرارات عن العالم و تصوراتهم للأخريين " .

إلى جانب ذلك يلعب النسق العقيدي دوراً هاماً بالنسبة للفرد في حياته اليومية كونه يمكن الفرد من تبسيط الواقع المعقد في ذهنه و يساعده في محاولة إدراكه اعتماداً على خبراته السابقة، و بالنسبة للقائد السياسي (صانع القرار) يساعده النسق العقيدي على تبسيط الواقع انطلاقاً من خارطته المعرفية حول العالم السياسي في ذهنه، و التي تعني بالتحديد النسق الإجرائي للفاعل السياسي.¹² ، ففي إطار موقف قراري معين يميل صانع القرار إلى اختيار البديل الذي يتوافق و عقائده السياسية حيث أن أي مشكلة قرارية معينة ستضع حتماً أمام صانع القرار مجموعة من

البدائل من اجل المفاضلة بينها على النحو المبين في الشكل التالي (حيث يشير الرمز(XXX) إلى موقف
قراري معين):

متغير تابع

متغير مستقل



الشكل رقم(01): بدائل الموقف القراري حسب الكسندر جورج

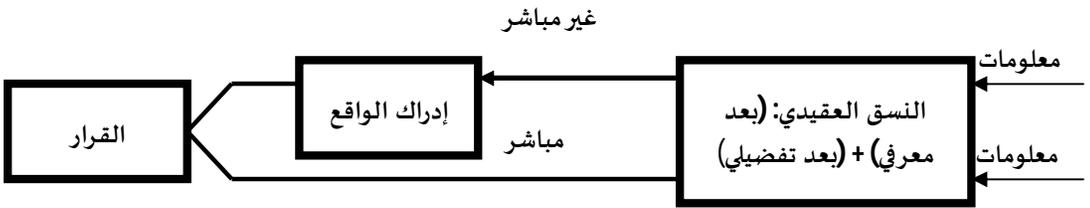
المصدر:

Alexander george « the causal nexus between cognitive beliefs and decision making behavior : the operational code ». p .112

و تمثل عقائد صانع القرار أحد أهم الأبعاد النفسية التي تؤثر على عملية إدراكه واختياره
للبدائل القراري، وقد أكدت العديد من الدراسات والأبحاث في مجال علم النفس السياسي على هذا
الافتراض، حيث ركزت هذه الدراسات أساسا على دور البيئة النفسية في صنع القرار الخارجي للدولة -
نظرا لتعاظم دور صانع القرار في هذا المجال- فيؤكد الكثير من الباحثين في موضوع صنع القرار
السياسي بالدولة داخليا وتحديدًا خارجيًا على أهمية و الدور الكبير الذي يلعبه النسق العقيدي
لصانع القرار في التأثير على سلوكياته وخياراته، حيث يمكن اعتبار النسق العقيدي للفرد المصفاة التي
عن طريقها يتقبل أو يلغي صانع القرار المدخلات (معلومات، مواقف...) التي تأتيه من البيئة
الموضوعية، كما تساعد الأنساق العقيدية صانع القرار في استيعاب البيئة القرارية التي تواجهه (موضوع
القرار، الضغوطات...) فمن خلالها ينتقي صانع القرار المعلومات التي تساعد على اتخاذ
موقف محدد، وبناء عليها يفسر هذه المعلومات وكل المتغيرات المتعلقة بالموقف القراري.

ويقول الكسندر جورج في هذا الإطار: "توفر العقائد مجموعة من القيم، المقاييس والإرشادات التي تؤثر على خيارات القائد الإستراتيجية و التكتيكية"¹³ وقد تم تحديد وظيفتين أساسيتين للنسق العقيدي للفرد والتي تؤثر على سلوكه السياسي¹⁴:

- ✓ يحدد النسق العقيدي نمط إدراكات الفرد للموقف (حيث يحدد المعلومات التي يتقبلها أولاً يتقبلها الفرد) وهو ما يسمى بالبعد المعرفي للنسق العقيدي.
 - ✓ تحديد أهداف وأولويات القائد وبالتالي البدائل المفضلة في موقف معين حيث يحدد الفرد من خلاله تصورات ومن ثم استراتيجياته حول باقي الأطراف مما يساعده على اختيار البدائل التي تتوافق وما وضعه، وهو ما يسمى بالبعد التفضيلي للنسق العقيدي.
- ويوضح هولستي هذين البعدين من خلال المخطط التالي:



شكل رقم (02): العلاقة بين النسق العقيدي واتخاذ القرار في السياسة الخارجية.

المصدر: محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، ص: 407.

و في ذات السياق ينوه كل من بونهام و شاييرو إلى انه: "في عملية صنع القرار تشكل العقائد أدوات لنقل المعلومات للربط بين البدائل المتاحة و بين إدراك صانع القرار لنوايا و سلوك الأمم الأخرى و بين أهداف صانع القرار ذاته"¹⁵ و في حقل القرار الخارجي يساعد النسق العقيدي صانع القرار في¹⁶:

- ✓ بلورة الإطار الفكري الذي من خلاله يرى العالم الخارجي.
- ✓ تحديد معالم تصورات حول المستقبل، و بالتالي الأهداف بعيدة المدى التي يجب تحقيقها، إضافة للوسائل الأزمة لذلك بين الوسائل الدبلوماسية أو الاقتصادية أو العسكرية...
- ✓ تساعد العقائد صانع القرار على قلة المفاضلة بين الخيارات المتعددة للقرار، حيث يميل لاختيار البدائل الأقرب لعقائده.
- ✓ كما توفر له مجموعة من المعايير الأخلاقية التي تمكنه من تقييم نفسه و الآخرين.

وإضافة لما سبق تتحدد أهمية النسق العقيدي في إطار عملية صنع القرار في عملية تفسير و تصفية المعلومات حيث يشير الدكتور محمد السيد سليم في هذا الإطار أن معتقدات صانع القرار تلعب دورا جوهريا " ففي ضوء تلك العقائد قد يقبل صانع القرار المعلومات أو يرفضها حتى ولو كانت المعلومات صحيحة ما لم تكن تلك المعلومات شديدة الوضوح بحيث لا تدع مجالا للتصور الذاتي" ¹⁷ كما يرى جوزيف فرانكيل Joseph Frankel أن المعلومات التي يتحصل عليها صانع القرار تلعب دور الوسيط بين صانع القرار و البيئة المحيطة به " كوسيلة لتحويل البيئة العملية إلى البيئة النفسية لصانع القرار" * .

و الإقرار بأهمية النسق العقيدي و قدرته الكبيرة على توجيه سلوك صانع القرار لا يلغي من أهمية العوامل الأخرى المحددة للبيئة القرارية بالدولة، إلا انه بالمقابل هناك مجموعة من الظروف المتعلقة ببيئة صنع القرار خصوصا تلك المتعلقة بالمعلومات المتوافرة، و التي قد تؤدي في النهاية زيادة تأثير النسق العقيدي على توجيه سلوك صانع القرار وقد حددها هولستي في ثلاث مواقف أساسية ¹⁸ .

← المواقف الجديدة و التي تتطلب تجديد أسلوب التعامل بما يتجاوز الطرق الروتينية مثل موقف اتخاذ قرار الحرب.

← المواقف الغامضة و الغير أكيدة خصوصا إذا ما اقترنت بشح في المعلومات المتوافرة حول الموقف القراري.

← مواقف القلق و الإجهاد النفسي حيث يكون صانع القرار في وضعية ضغط نفسي و عاطفي تقل خلاله قدرته على استيعاب المعلومات الواردة حول الموقف و يكون نسقه العقيدي هنا هو الملجأ الوحيد لصانع القرار من اجل المفاضلة بين البدائل و الخيارات. ¹⁹

ثالثا: تطور منهجية دراسة و تحليل الأنساق العقيدية:

أ- المناهج البديلة المطروحة للتحليل:

نظرا لأهمية العقائد السياسية بين العوامل النفسية لصنع القرار أجريت العديد من الدراسات التي حاولت التركيز على تبيان طبيعة النسق العقيدي للفرد و كيفية بنائه، تأثيره على سلوكه و الأهم من ذلك محاولة إيجاد أداة منهجية تمكن الباحثين في هذا المجال من إعداد دراسات دقيقة و مفيدة. و قد تم إيجاد العديد من الأدوات المنهجية لعل من بينها على سبيل الذكر لا الحصر ²⁰ :

• منهج الذكاء الاصطناعي artificial intelligence: حيث يعتمد الباحث على الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في بناء نموذج تفاعلي للنسق العقيدي لصانع القرار محل الدراسة و ذلك بعد بناء نموذج خاص بالنسق العقيدي و تخزينه في الحاسوب من ثم يقوم الباحث بتقديم أسئلة حول عقائد القائد و سلوكياته المحتملة ليقوم الحاسوب بالرد عليها بناء على النموذج المحدد. و قد وجهت انتقادات

لهذا المنهج انطلاقا من اعتماده على تقديم إجابات آلية رشيدة من اجل بناء الأنساق العقيدية على أساس أن العلاقة بين العقائد والسلوك هي علاقة منطقية حيث أن عقائد معينة سينتج عنها سياسات معينة ...

• **منهج الخريطة المعرفية the cognitive map process:** يعتمد هذا المنهج على بناء تصور رياضي لمجموعة فرعية من عقائد النسق العقيدي لصانع القرار محل الدراسة والمتعلق بالمشكلة المدروسة، ويتميز هذا المنهج بكونه يتناول جانبا معينا من النسق العقيدي (مثل الخريطة المعرفية التي قدمها بونهام وشايبورو لصانع القرار السوري أثناء التدخل السوري في الأردن لمساندة المقاومة الفلسطينية سنة 1970)، كما يتميز باقتصاره على العقائد التي تشكل علاقات سببية فيما بينها في إطار النسق العقيدي الجزئي ككل.

• **منهج الأسلوب السياسي political style:** الهدف من هذا المنهج هو محاولة تحديد مفهوم القائد السياسي لدوره وكيفية تحقيقه وتصورات حول العالم الخارجي كل ذلك من اجل فهم سلوكاته وخياراته.

و رغم تعدد المناهج المطروحة من اجل تحليل الأنساق العقيدية إلا انه قد وجهت إليها العديد من الانتقادات والتي أدت إلى قلة استخدامها وتطبيقها لعل أبرزها هو غموض وتعقيد هذه المناهج، إضافة إلى قلة الدراسات العربية التي اعتمدت على هذه المناهج هذا إن لم نقل ندرتها. لكن بالمقابل أجريت العديد من الدراسات من اجل إيجاد مناهج جديدة لدراسة الأنساق العقيدية و تطويرها وتعد دراسات كل من الكسندر جورج وهولستي مبادرات جد هامة من اجل تبسيط ومنهجة عملية دراسة دور الأنساق العقيدية ضمن عملية صناعة القرار ككل، حيث أن هذه الدراسة لا تقتصر فقط على تحديد أهم ملامح النسق العقيدي لصانع القرار، وإنما تكمن النقطة الجوهرية في عملية ربط وتحليل تأثير هذه العقائد على سلوك صانع القرار، كل هذه الدراسات أدت في الأخير إلى ظهور منهج جديد سمي بالمنهج الإجرائي لتحليل الأنساق العقيدية. ويحوي النهج الإجرائي مختلف آراء وتوجهات القائد السياسي حول الواقع السياسي المحيط به، حيث تصنف هذه العقائد إلى عقائد فلسفية و عقائد إجرائية، يقصد بالأولى-العقائد الفلسفية- تصورات القائد حول جوهر الحياة السياسية، طبيعة وأصل الصراع السياسي، دور الفرد في التطور التاريخي للأحداث... أما عن العقائد الأداة instrumental beliefs فهي معتقداته حول الوسائل والأدوات المستخدمة في تسيير الحياة السياسية²¹.

ب- **المنهج الإجرائي لتحليل عقائد صانع القرار:**

يعد المنهج الإجرائي** من بين المناهج الحديثة والتي تم تأسيسها وتطويرها خصيصا لدراسة وتحليل الأنساق العقيدية للقادة السياسيين. وقد أجريت العديد من الدراسات التي حاولت الربط

بين النسق العقيدي للأفراد أو الجماعات و سلوكهم السياسي، لعل أكبرها الدراسة التي قام بها الأمريكي ناثان ليتس nathan leites تحت إشراف مؤسسة "راند rand" للدراسات العلمية والسياسية والعسكرية حول الأنساق العقيدية للقيادات في الاتحاد السوفيتي سابقا، والتي أصدرت في مؤلفين الأول حول دراسة الأنساق العقيدية للنخب السياسية (المكتب السياسي) سنة 1951 و دراسة أخرى حول البلشفية سنة 1953 (من خلال التركيز على شخصيتي كل من ستالين و لينين) خلال خمسينات القرن الماضي والتي ساهمت في تطوير المنهج السلوكي في العلوم السياسية و العلوم الاجتماعية على العموم أين حاول ليتز دراسة و تحليل الأنساق العقيدية لكل من لينين و ستالين من خلال دراسة الخلفية الاجتماعية التي أثرت على تطوير توجهاتهما السياسية.

و بعد حوالي خمسون عاما أعيد طرح هذا الموضوع من خلال دراسة الكسندر جورج بعنوان: "النهج الإجرائي مقرب لدراسة القادة السياسيين و صنع القرار"²² و قد حاول جورج من خلالها التركيز على موضوع النسق العقيدي للقائد السياسي من خلال دراسة مختلف أبعاده، تطوير النهج الإجرائي الذي درس من خلاله ليتز العقائد البلشفية لكنه -الكسندر جورج- حاول تبسيطها من خلال وضع مجموعة من النقاط الأساسية و التي تمكن من رسم و تحديد معالم النسق العقيدي للفرد و نظرتة للعالم الخارجي و بالتالي سلوكه السياسي و ذلك بطرح من مجموعة من الأسئلة التي تتعلق بمجمل جوانب النسق الإجرائي للفاعل السياسي حيث صنفها إلى أسئلة تتعلق بالعقائد الفلسفية و العقائد الإجرائية:

• أسئلة العقائد الفلسفية:

1. ما هي طبيعة الحياة السياسية : انسجام أم تنازع وما طبيعة الأعداء السياسيين؟
2. ما هي احتمالات تحقيق الفرد لأهدافه السياسية و لآماله؟ هل يمكنه التفاؤل حيال تحقيقها أم لا؟
3. هل يمكن التنبؤ بالمستقبل في الحياة السياسية؟
4. إلى أي مدى يمكن التحكم في التطور التاريخي؟ وما هو دور الفرد في تحريك التاريخ للاتجاه المطلوب؟

5. ما هو دور الحظ و المصادفة في الشؤون الإنسانية و التطور التاريخي؟

• أسئلة العقائد الأدائية:

1. ما هي الطريقة الأمثل لاختيار الأهداف في العمل السياسي؟
2. كيف يمكن تحقيق هذه الأهداف (الطريقة الأمثل لتحقيق الأهداف)؟
3. كيف يمكن حساب المخاطرة السياسية أو ضبطها و التحكم فيها؟

4. ما هو دور التوقيت الأفضل للعمل على دعم طموح الفرد؟

5. ما هو دور الأدوات والوسائل المختلفة في تحقيق طموحات الفرد؟

من خلال هذه الأسئلة يتضح لنا أن النهج الإجرائي هو عبارة عن حوصلة لأهم العقائد السياسية للفرد، وقد حدد الكسندر جورج أهمية العقائد التي يركز عليها المنهج الإجرائي كونها التي تتعلق بقضايا أساسية في الحياة السياسية وتمكن القائد السياسي من فهم الواقع المحيط به، كما تمثل الإطار الذي من خلاله يستطيع فهم وتحليل المعلومات الواردة بطريقة عقلانية بما يتوافق و قيمه وأهدافه²³. كل ذلك من خلال توجيه صانع القرار في²⁴:

← قدراته التشخيصية *diagonistic propensities*: حيث يعمل على توسيع أو الحد من نطاق قدراته على البحث والتقييم وتشخيصه للوضع وتوجيهها في اتجاهات محددة.

← قدراته على الاختيار *choice propensities*: من خلال تمكين صانع القرار من تفضيل بدائل معينة للقرار على أخرى.

و يضيف جورج هنا أن إدراك صانع القرار لموضوع القرار قد يتأثر كثيرا بتصوراته حول العدو فصورة الخصم على انه عدائي قد تجعل صانع القرار يفسر أي تفاعلات مع هذا الخصم على أنها خطر يهدد بلاده. كما أن اهتمامه بالمعلومات حول الموقف قد تتناقض كلما اعتقد صانع القرار أن عدوه موحد(فرد أو دولة) في حين أنها قد تتضاعف إذا ما تعدد الأعداء في نظره²⁵.

و بطرح هذه الأسئلة كمحاولة لفهم عقائد صانع القرار حول العالم الخارجي، يتمكن الباحث في مجال الأنساق العقيدية من تحليل واستخراج الملامح الأساسية للنسق العقيدي لمختلف القادة السياسيين وذلك من خلال تحليل خطاباتهم، لقاءاتهم الصحفية ومختلف أشكال إنتاجاتهم الفكرية بالاعتماد على تقنية تحليل المضمون، فمن خلال هذه الأسئلة حاول جورج توفير منهجية علمية للباحثين حول دور العقائد مقابل التحليل النفسي الكلاسيكي²⁶.

و اعتمادا على ما توصل إليه الكسندر جورج وهولستي أجريت العديد من الدراسات حول الأنساق العقيدية للقادة السياسيين من اجل استخلاص رؤيتهم حول العالم المحيط بهم. فعلى المستوى الأمريكي حاول الكثير من الباحثين دراسة الأنساق العقيدية للقادة أمثال الرئيس كارتر، جورج بوش، بيل كلنتون...هكذا و تمثل دراسة الدكتور محمد السيد سليم حول النسق العقيدي للرئيس المصري جمال عبد الناصر دراسة رائدة في موضوع الأنساق العقيدية للقيادات العربية. حيث توصل الدكتور من خلال تحليله لمضمون خطب سياسية متعددة لعبد الناصر توصل إلى انه يؤمن أن حالة الصراع هي حالة دائمة في الحياة السياسية و أن مصدرها سيادة نمط سياسة القوة و سياسة الاستعمار الجديد و الهوة المتزايدة بين الدول النامية و الدول المتقدمة، و إلى جانب ذلك كان عبد

الناصر متأكداً بان أهدافه السياسية ستتحقق على المدى البعيد لأنها أهداف صحيحة حددها في التنمية الاقتصادية و توحيد الدول العربية و استعادة حقوق الشعب الفلسطيني²⁷. و في الميدان العملي ابرز الباحث أن لهذه العقائد تأثير مباشر على القرارات التي اتخذها عبد الناصر لعل من بينها: قرار تأميم الشركة العالمية لقناة السويس سنة 1956، و قرار عدم استخدام القوة من اجل اخماذ الانفصال السوري عن مصر في إطار الجمهورية العربية المتحدة سنة 1961، و فيما يخص قرار تأميم قناة السويس مثلا يرى الدكتور السيد سليم ان هذه القرار قد اتخذها عبد الناصر متأثراً بمجموعة من العقائد الأساسية منها: عقيدته حول تصورات القوى الغربية كعدو رئيسي لحركة التحرر العربية، و مفهومه لدور مصر في النظام الدولي كدولة مستقلة و مقاومة لجميع أشكال السيطرة الغربية²⁸.

هذا إلى جانب دراسة الدكتور علاء عبد الحفيظ محمد حول النسق السياسي لرجب طيب اردوغان (مجلة رؤى إستراتيجية، عدد 03، جوان 2013) أين توصل الباحث إلى أن للنسق السياسي العقيدى لرجب اردوغان دور محوري في رسم توجهات السياسة الخارجية التركية حيث كان التاريخ التركي و التعليم الديني أهم مصادر نسقه العقيدى الذي يعتقد من خلاله اردوغان بالطابع التعاوني للسياسة الدولية و أن الصراع ليس سمة أساسية للنظام الدولي، كما يعتقد بإمكانية تحقيق الأهداف السياسية فيه، أما عن عقائده الأدائية فتوصل الباحث إلى أن الأهداف السياسية لاردوغان تتمحور حول تحقيق تنمية تركيا بمختلف أبعادها داخليا و تكريس المكانة المحورية لتركيا بين الشرق الأوسط و أوربا دولياً²⁹ و في سياق تحديده لأهم توجهات السياسة الخارجية التركية يذكر أن اردوغان يرى بأن الموقع الجغرافي لتركيا يدفعها لأداء دور إقليمي نشط على مستوى الشرق الأوسط و منطقة البلقان، و هو بذلك يؤكد على الدور الذي تلعبه تركيا في الصراع العربي الاسرائيلي و لبنان و سوريا و أزمات القوقاز... هذا إضافة إلى تفعيل دور تركيا في المنظمات الدولية و الإقليمية كحلف الناتو و الأمم المتحدة³⁰. و هو ما عبر عنه اردوغان من خلال سياساته و تصريحاته المعادية لإسرائيل و محاولته بالمقابل توثيق العلاقات مع الدول العربية خصوصا أنظمة ما بعد ثورات الربيع العربي في 2011.

و في دراسات أكثر حداثة فقد قام الأستاذان ستيفين وولكر و مارك شافير (Stephen walker and Mark schaffer) بتطوير تقنية خاصة بتحليل مضمون الوثائق اللفظية(خطابات ، تصريحات، مذكرات...) و ذلك بالتوافق مع الأسئلة العقيدية التي حددها الكسندر جورج للنسق الإجمالي عن طريق إحصاء و تحليل الأفعال المتعدية^{***} transitive verbs حيث عن طريقها يمكننا " قياس شدة الصراع، التعاون و المشاركة في النظام الدولي"³¹ في فكر القائد السياسي حسمها، و تسمى هذه التقنية بتقنية الأفعال في السياق^{****} the verbs in context system .VICS

و توفر تقنية "الفعل في السياق" أجوبة وتحليلا كميا للأسئلة العقيدية التي طرحها جورج في النسق العقيدي على أساس أن الأفعال تعد التعبير اللغوي على علاقات القوة داخل الجمل، فمثلا في الجملتين التاليتين يختلف الفعل المستخدم وبالتالي تختلف معانيه وتفسيراته³²:

← الدولة X هاجمت الدولة Z.

← الدولة W أثنت على الدولة Y.

ففي المثال الأول يدل الفعل هاجم على حركة عنيفة من طرف الدولة المهاجمة، في حين يدل الفعل أثنى في الجملة الثانية على سلوك تعاوني من طرف الدولة.

و الواضح من خلال المثالين أن عملية تحليل الأفعال تعتمد أساسا على تصنيفها إلى أفعال ذات دلالة عدائية و أفعال ذات دلالة تعاونية. فقد تختلف رؤية القائد السياسي للعالم السياسي و تتجلى في خطاباته، فقد يرى بعض القادة أن العالم صراعي (السؤال الأول من الأسئلة العقيدية) و بالتالي يميلون إلى استخدام أفعال تحوي مفهوم الصراع في محاولة توصيفهم للعالم الخارجي، هذا في حين يلجأ القائد الذي يرى أن العالم يميزه التعاون المتبادل بين الأطراف إلى الاعتماد على الأفعال ذات الدلالات التعاونية في التعبير عن ذلك³³. و بالتالي تكون وظيفة تقنية "الفعل في السياق" أولا إحصاء الأفعال التعاونية أو الصراعية و إعطائها إشارات ايجابية أو سلبية ثانيا، و هكذا في إطار خطوات التحليل إلى أن يتمكن الباحث في الأخير من تشكيل صورة حول رؤية القائد السياسي محل الدراسة لحدود استخدام القوة و طبيعة العالم السياسي من حوله.

و قد تم تطبيق هذه التقنية في دراسة و تحليل الأنساق العقيدية للعديد من القادة السياسيين أمثال: رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير، الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلنتون، جورج بوش الابن، جيمي كارتر، رؤساء الوزراء الإسرائيليين السابقين شيمون بيريز و إسحاق رابين... و قد اثبت الباحثون من خلال هذه العديد من الدراسات دقة و قدرة هذه التقنية على استخلاص الأنساق العقيدية للقادة محل الدراسة³⁴.

و في دراستهما حول الأنساق العقيدية لكل من الرئيسين السابقين للولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش الأب و بيل كلنتون المعنونة ب "النسق العقيدي الرئاسي و ادارة الصراع في السياسة الخارجية في فترة ما بعد الحرب الباردة " " Presidential Operational Codes and Foreign Policy Conflicts in the Post-Cold War World " التي أعدت سنة 1999، ركز الباحثان على تأثير النسق السياسي لكلا الرئيسين في إدارة السياسة الخارجية تجاه قضايا النزاع في كل من: بنما، هايتي، العراق، و البوسنة و من خلال تطبيقهما لتقنية الفعل في السياق المذكورة توصل الباحثان انه رغم توافر نقاط اشتراك و تشابه بين الأنساق العقيدية للرئيسين حيث أظهرت التحليلات أن كلاهما يعتقدان بالطابع التعاوني للنظام الدولي، و بإمكانية تحقيق الأهداف

السياسية في ظلّه، هذا في حين أظهرت النتائج أن هناك اختلافا من حيث الأفعال المعتمد عليها في خطبهم السياسية، حيث يميل الرئيس بوش الأب في خطبه للاعتماد على الأفعال تتعلق بالمناشدة أو الدعم (Appeal/Support) أكثر من اعتماده على الأفعال التي تدل على المكافأة Reward، وفي موضوع الصراع يفضل التركيز على مفاهيم تتعلق بالعقاب Punish في مواقف التي توجي بالمعارضة Oppose/Resist أو التهديد Threaten. هذا في حين اعتمد كلنتون من خلال خطبه المشمولة بالتحليل ميله لاختيار مفاهيم المكافأة Reward أكثر من ميله لاستخدام المصطلحات التعاونية الأخرى مثل مناشدة و الدعم Appeal/Support او الوعد Promise³⁵.

و بالمقارنة بين تحليلات النهج الإجرائي و تقنية الفعل في السياق المستخدمة في الدراسة و بين قرارات الرئيسين في السياسة الخارجية توصل الباحثان إلى أن هناك اختلافا واضحا في توجهات إدارتهما في السياسة الخارجية، حيث أن إدارة بوش الأب عمليا متطابقة مهما كانت طبيعة تحركات العدو سواء بالسلب أو إيجابا، في حين كانت إدارة كلنتون مرتبطة برد فعل العدو حيث كانت أكثر شدة مع السياسات العدوانية و اقل حدة مع السياسات التعاونية. و بذلك أظهرت النتائج حسب الدراسة أن نمط الحركة لإدارة بوش الأب هو اقل تعاونية و اقل قابلية للتكيف في اختيار بدائل الحركة مهما كان فعل أو رد فعل العدو، هذا في حين تميزت إدارة كلنتون بكونها أكثر تعاونية و أكثر تكيفية مع سلوكيات العدو التعاونية أو العدائية (الصراعية)³⁶.

و في ميدان إدارتهما للسياسة الخارجية يستدل الباحثان بمواقف تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية ما بين سنة 1989 إلى غاية سنة 1995 أين تعرض كل من بوش و كلنتون لمواقف في سياستهما الخارجية دفعتهما لاستخدام القوة للتعامل معها ، و يستدلان هنا بمواقف الولايات المتحدة تجاه أمريكا اللاتينية حيث قرر الرئيس بوش إرسال فرق عسكرية إلى بنما لتنحية الرئيس مانويل نوريغا Manuel Noriega هذا في حين اختار كلنتون التهديد بإرسال قوات عسكرية من اجل تنحية راوول سيدراس Raoul Cedras من السلطة في هاييتي³⁷.

خاتمة:

و في الأخير فإن النسق السياسي العقيدي لصانع القرار يحتل أهمية كبيرة من حيث كونه المؤثر المباشر على عملية اختيار بديل من بدائل القرار المتاحة و ذلك وفقا لما يرى و يعتقد صانع القرار و بناء على خبراته السابقة كما أسلفنا، فصانع القرار و إن تعددت محددات الموقف القراري بالنسبة إليه بين المحددات الداخلية أو الخارجية إضافة إلى ظروف الموقف القراري بحد ذاته فإنه في النهاية سيعود إلى عقائده و تصوراته حول الموقف و التي بدورها تحدد كيفية إدراكه للمشكلة القرارية و بالتالي كيفية مواجهته لها.

و على المستوى النظري و المتعلق بتحليل الأنساق العقيدية لصنع القرار فقد تعددت المناهج المقترحة و المتاحة أمام الباحثين في هذا المجال خصوصا فيما يتعلق بالمنهج الإجرائي الذي أوجده ناثان ليتز و طوره كل من هولستي، الكسندر جورج إضافة إلى دراسات ستيفن وولكر و مارك شافيز كما سبق و أشرنا و قد أثبتت العديد من الأبحاث و الدراسات الأكاديمية العربية على غرار دراسات الدكتور محمد السيد سليم حول الأنساق العقيدية لكل من جمال عبد الناصر و الملك عبد العزيز و الماليزي محاضير محمد أثبتت صدق هذا المنهج كمقياس يمكن أن يتبعه الباحث الأكاديمي لتحليل الأنساق العقيدية للقادة السياسيين.

و يبقى التأكيد في الأخير ضروريا على أهمية هذا المجال من الدراسة بالنسبة للباحثين خصوصا المتخصصين في العلاقات الدولية و السياسة الخارجية، حيث أن مجال صنع القرار في السياسة الخارجية من أكثر المجالات تأثرا بالطابع الشخصي و العقيدي لصانع القرار و ذلك من حيث كون هذا المجال يكاد يكون حكرا على رئيس الدولة في العديد من الدول (المجال المحجوز)، و إذا ما سلطنا الضوء على دراسات الحالة العربية فإن الأمثلة ستكون متعددة خصوصا في ظل السلطات الواسعة المتاحة للهيئة التنفيذية و رئيس الدولة على وجه التحديد في هذا الإطار الأمر الذي يتطلب مزيدا من البحث و التعمق في موضوع الأنساق العقيدية لصنع القرار في الأنظمة السياسية العربية مع الاستفادة من الأدوات المنهجية المتاحة.

الهوامش:

1 Sami Cohen. " Decision pouvoir et rationalité dans l'analyse de la politique étranger" , du :Marie claud smouts, les nouvelles relation internationales: pratique et théories. Paris : la fondation nationale des sciences politique. 1998. P: 88.

2 Richard c Snyder. , H .w. Burton, "Decision making as approach to the study of international politics", in Ed: Stanley Hoffman, Contemporary theory in international relations, 5th ed. U.S.A: Prentice Hill. 1965 .p : 153.

3 محمد السيد سليم، "النسق السياسي العقيدي لمحاضير محمد"، من مؤلف: محمد السيد سليم، الفكر السياسي لمحاضير محمد، مصر: برنامج الدراسات الماليزية، 2006، ص: 22.

4 مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم الوسيط، ط: 04، مصر: مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص: 614

5 محمد السيد سليم، مرجع سابق، ص: 22.

6- O.R.Holsty. "belief systems and national images : a case study". Journal of Conflict Resolution , vol. 6 no. 3 .September 1962 .p 244.

7- Stephen walker, « the evolution of operational codes analysis » political psychology, vol : 11, no :02 ,1990.p :406

8 -محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، ط02، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1998. ص: 405.

9- Alexander george « the causal nexus between cognitive beliefs and decision making behavior : the operational code ». in ed : falkowski , psychological models in international politics . westview :boulder .1979.p :99

10- مجمع اللغة العربية، قاموس المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص: 725.

11- لويد جنسن، تفسير السياسة الخارجية، (تر: محمد بن أحمد مفتي، محمد السيد سليم). الرياض: عمادة شؤون المكتبات، 1989. ص: 26.

12- Alexander George, " the operational code: a neglected approach to the study of political leaders and decision –making". International studies quarterly. Vol: 13. N°2 .jun.1969, p :200

13 - Ibid.p: 191.

14- محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية. مرجع سابق. ص: 407.

15 -محمد السيد سليم . التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1983.ص:29.

16- عبد الرحمن يوسف بن حارب، السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1999. ص ص:38-39.

17- محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مرجع سابق، ص: 478.

* حيث يؤيد جوزيف فرانكيل تقسيم كل من هارولد ومارغريت سبروت Harold,Margaret sprout لبيئة صناعة القرار بين البيئة النفسية (Psychological milieu) والبيئة العملية (operational milieu)، يقصد بالأولى (البيئة النفسية) كل ما يتعلق بالجانب النفسي لرجل الدولة، (تصوراته، تقديراته للموقف...)، في حين تشير البيئة العملية إلى جميع العوامل الداخلية والخارجية سواء كانت بشرية أو مادية المتعلقة بالجانب العملي لصناعة القرار بالبيئة النفسية لصانع القرار. للمزيد حول هذا الموضوع انظر:

Harold, Margaret sprout".Environmental factors in study of international politics" in E d: James resenau.international politics and foreign policy: a reader in research and theory. New York: the free press.1969.p 43.

18- Stephen walker, « the motivational foundations of political belief systems »international studies quarterly, vol :27,no :02.juin1983.p :180.

19- محمد السيد سليم، التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، مرجع سابق، ص: 34

20- نفس المرجع، ص: 37-39.

21- Alexander George, " the operational code: a neglected approach to the study of political leaders and decision –making".op.cit.p :199.

** استخدمنا مصطلح المنهج الإجرائي كترجمة للمصطلح الانجليزي operational codes وذلك استنادا إلى استخدامه من طرف الدكتور محمد السيد سليم في دراسته حول النسق العقائدي الناصري كما أن هذا المصطلح هو المفهوم الأقرب للمعنى الحقيقي للكلمة الانجليزية و ما يقابلها بالعربية.

22- Stephen walker, Stephen walker, « the evolution of operational codes analysis » political psychology,vol :11, no :02 ,1990.p :403

23- Alexander george « the causal nexus between cognitive beliefs and decision making behavior : the operational code ».op.cit. p :101.

24- Ibid. p 103

25- Ibid. 102.

26- Stephen walker, op.cit.p : 195.

27- محمد السيد سليم، التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية.،مرجع سابق، ص: 260.

28- نفس المرجع، ص. 320.

29- علاء عبد الحفيظ محمد، "النسق السياسي العقدي لرجب طيب اردوغان"، مجلة رؤى استراتيجية، عدد:03، جوان 2013.ص:08.

30- نفس المرجع، ص:20.

*** الفعل المتعدي هو كل فعل يتجاوز فاعله ليأخذ مفعولا به أو أكثر ، إذ إن فهمه لا يقف عند حدود الفاعل ، بل لا بد له من مفعول به ليكمل معناه، كما أن هذا الفعل يدل في معناه على علاقة تأثير من طرف الفاعل على المفعول به بما يدل وفقا لهذه التقنية على علاقات القوة بين المتحدث و الآخر.

31- Mark Schafer, Stephen G. Walker, Beliefs and Leadership in World Politics: Methods and Applications of Operational Code Analysis,New York : Palgrave Macmillan.2006.p p:30-31.

**** كما قام الباحثان بالتعاون مع مؤسسة social science automation بتطوير برنامج للحاسوب يعمل على التحليل الآلي للخطابات السياسية بناء على مؤشرات تقنية الفعل في السياق و يسمى البرنامج: the profiler plus، لكنه لحد الآن متوافر باللغة الانجليزية فقط.

32- Mark Schafer, Stephen G. Walker, Beliefs and Leadership in World Politics: Methods and Applications of Operational Code Analysis.op.cit.p :31.

33- Ibidem.

34- من بين أهم الدراسات المذكورة:

- Stephen Walker, Mark Schafer, " **Democratic leaders and democratic peace :The operational codes of Tony Blair and Bill Clinton** " International studies quarterly, vol:50, September 2006.pp:561-583.
- Scott Crichlow, " **Idealism or Pragmatism? An Operational Code Analysis of Yitzhak Rabin and Shimon Peres** " Political Psychology, Vol: 19, Number 4, December 1998 , pp. 683-706.

35- Stephen Walker, Mark Schafer, Michael Yuong, " **presidential operational codes and foreign policy conflicts in the post cold war world** " Journal of conflict resolution, vol:43; NO:5. October 1999.p:618 .

36- Ibid,pp: 621-622.

37- Ibid,p:611 .